Website : www.uoajournal.com
E-mail : info@uoajournal.com

مجلة كلية المعارف الجامعة
Journal of AlMaarif University College

Corona and The Right Promise in Arabic Literature

Abdul Rahman Hamid Thamer
Department of Arabic Language, Al-Maaref University College, Anbar, Iraq
abd422009@gmail.com

ABSTRACT:

This year 2020 was long and boring because of Corona, and the challenge ahead of us is really tremendous, and it is one of the great calamities that have befallen humanity, and God tests people and the country with these ordeals for the sake of testing, and this is the state of the world, so whoever has the slightest acumen is preparing for that. What is deceived by days, but a weak mind. Sickness is not what a person desires, but he keeps away from everything that leads to illness. Death is certain, along with health or disease, inevitably, so the believer is ready to face the epidemic if it descends, and whoever returns himself to patience will be afraid of crises in addition to taking the necessary precautions in preventing the epidemic and providing the necessary treatment, and that these crises are a reason for creating cooperation between people and the trend. Toward social solidarity, and orientation towards science away from passion in human relations, and taming oneself on quarantine. With the admission that judgment and destiny are from God, and those who died in Corona died for this reason, but on their time and their inevitable deadline, they departed from this temporary and unrepentant life to a permanent life. Lord, to meet him, and to receive from his Lord a look and pleasure, perhaps sickness will be an expiation, and it is a blessing from God to whom He wills of his servants to return to him, and that whoever expects death hastens in good deeds. and thank Allah the god of everything.

Keywords: Corona; True Promise; Epidemic; Quarantine; Patience.

Crossref doi https://doi.org/10.51345/.v31i1.219.g142

Website : www.uoajournal.com
E-mail : info@uoajournal.com

مجلة كلية المعارف الجامعة
Journal of AlMaarif University College

كورونا والوعد الحق في الأدب العرب

أ.م.د. عبدالرحمن حميد ثامر

قسم اللغة العربية،كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العراق

ملخص البحث

كان هذا العام 2020 طويلاً ومملاً بسبب كورونا، وإن التحدي الماثل أمامنا هائل بالفعل، وهي من المصائب الكبرى التي نزلت على البشرية، والله يبتلي العباد والبلاد بهذه المحن من أجل الاختبار، وهذا حال الدنيا فالذي يملك أدنى فطنة يستعدُ لذلك. وما يغتر بالأيام إلا ضعيف العقل. والمرض ليس مما يتمناه الإنسان، بل يبتعد عن كل ما يؤدي إلى المرض، واذا قُدِّر أن يقع فريسته فيلتمس له العلاج، مع الصبر على البلاء والشكر لله. والموت محقق مع الصحة أو المرض لا محالة، فعليه فإن المؤمن يكون مستعداً لمواجهة الوباء إذا نزل، ومن عوّد نفسه التصبر تخف عليه الأزمات فضلاً عن أخذ الاحتياطات اللازمة في الوقاية من الوباء وتوفير العلاج اللازم، وأن تكون هذه الأزمات سبباً في خلق التعاون بين الناس والاتجاه نحو التكافل الاجتماعي، والتوجه نحو العلم بعيداً عن العاطفة في العلاقات الإنسانية، وترويض النفس على الحجر الصحي. مع التسليم إن القضاء والقدر من الله وإن الذين ماتوا بكورونا ماتوا لهذا السبب، وإنما في موعدهم وأجلهم المحتوم، رحلوا عن هذه الحياة المؤقتة غير المأسوف عليها إلى الحياة الدائمة، فالمؤمن يواجه كورونا برضا نفسه ويحب لقاء الله، وأي سعادة عندما يشعر الإنسان إنه يسير إلى رب ليلاقيه، ويلقى من ربه نظرة وسروراً، فلعل المرض يكون كفارة، وإنه نعمة من الله يعطيه لمن يشاء من عباده ليرجعوا إليه، وان من يترقب الموت يسارع في الخيرات. والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: كورونا ، الوعد الحق، الوباء ، الحجر الصحي ، الصبر.

Crossref doi https://doi.org/10.51345/.v31i1.219.g142

المقدمة

الحمد لله الذي انفرد في البقاء، وكتب علينا جميعاً الفناء، وأنه لا مرد من الموت ولا أمان لقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد خلق الله الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل للذين أمنوا الدرجات، والذين أساءوا الدركات، رحمة وعدلاً، وأمام كورنا فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. فأين الهمم التي تجتاح شبح الخوف من كورونا الذي أوهن النفوس، وينظرُ المصاب بهذا الفايروس إلى المناظر الرائعة لمودعي الحياة، بقدر الاستعداد والشوق للقاء الله، والترحيب بالموت من غير جزع بعد الأخذ بالأسباب كاملة.

مع كورونا وجدنا العدالة مطلقة، فسوّى بين الناس من غير طبقية وكل ذلك بتقديره الحق: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر: ١١).

ولعدم المعرفة الدقيقة لخصائص الفايروس ولسرعة إنتشاره، لا يوجد الدواء اللازم من المصل أو التطعيم، فسّبب هذا الهلع العالمي، فكان التوجه إلى النظافة والاحتياطات اللازمة. الانتباه إلى تعويد الاطفال على ذلك حتى لا يستهجنون هذه التدابير الوقائية عند الكبر كما حصل في العراق – حرسه الله – وما ترتب عليها من تداعيات مجتمعية واقتصادية ونفسية وصحية. إنها مصيبة فعلاً، وكل هذه المصائب متكررة عبر التاريخ وصداها في الأدب العربي، هو مجال بحثنا. والحمد لله وبه نستعين.

التمهيد:

كان هذا العام 2020 طويلاً ومملاً ومميتاً، بسبب كورونا، وإن التحدي الماثل أمامنا هائل بالفعل. وكانت الاستجابة السريعة من أجل تشخيص الفايروس للوقاية منه وتقليل الاصابات. لقد قالوا إنها جائحة، بل هي من أكبر المصائب التي نزلت على البشرية، ولما كانت محتّمة، ونستسيغ هذه الحقيقة مجردة. فالذي يملك أدنى فطنة يستعد لها. هذا الاستعداد ليس بالكمامات والكفوف فقط، وإنما بالاستعداد الذي يهدف منه المؤمن إلى

القدر العظيم بدخول الجنة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (التغابن: ١١) ومن عرف ذلك هانت عليه مصيبة كورونا.

الإعلام أقام الدنيا ولم يقعدها، فلماذا لا يرى الإنسان جنازته بسبب هذا الفايروس محمولة على شجرة عمره القصير، ولماذا لا يتخيل فناء البشرية بأسرها بسبب هذا الوباء، لينفتح امامه الطريق إلى الاخلاص التام لله والرسول؟ ((إن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا، عقولها محجوبة عن الله عز وجل))[1]، ((وأهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى))[2]. إن المرض كفارة، وإنه نعمة من الله يعطيه لمن يشاء من عباده ليرجعوا إليه، إلا أنه أي إنسان يبتعد عن اسباب المرض، وكلما انتابه سارع إلى مقاومته وعلاجه وحاول التخلص منه[3].

مواجهة كورونا:

إن المرض ليس مما يتمناه الإنسان، بل يفَّر منه فراراً.. وعلى المؤمن ان يبتعد عن كل ما يؤدي إلى المرض، ولكنه إذا قُدّر له ان يقع فريسته، فعليه أن يلتمس علاجه ((ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزل له شفاء))[4] لكن المؤمن يصبر ويشكر، ويعدُّ ذلك اختباراً من الله، ولولا المرض ولولا هذه الأزمات الصحية المفاجئة، لتكبرّ الناس على الله وعلى أنفسهم، ولطغوا وتمادوا في الذنوب[5]. لقد ظل العالم بسبب هذا الفيروس في وضع من الحذر والارتياب ومحاولة وجود العلاج، إلا إنّه على أية حال سيقررون دائماً أن الحياة خاتمتها الموت لهذا السبب أو لغيره. فهل ((سمعتم بمكان ليس فيه للموت إستمكان ؟ هيهات هيهات))[6].

فلا يجعل المؤمن للمباغتة طريقاً لموته من غير استعداد في مواجهة الفايروس أو بغيره، ومن غير أن يتمنى الموت، بل يعمل كأنه يعيش أبد الدهر، والله يمدنا بمقومات الحياة ثم نرجع إليه بعد الموت، ثم الحساب، فلنقبل على الله لأنه في انتظارنا ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (الشورى: ٤٧) فمن عوّد نفسه التصبر خَفَّت عليه الأزمات.

ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خُلقُ الزمانِ عداوةُ الأحرار[7]

ويستبشر بالقرب من الله، ورضاء الله، ويحاول ان يعيش بسلام هو ومن حوله، ولا يفكر في الاعتداء أو التسلط أو الاساءة، وإنما يتوجه إلى المجتمع المسلم الفاضل، ولاسيما إذا أصبح هذا هو حال الجميع. وكل ما يصدر عنه من القلب وعن يقين، متسماً بالحياء والعلم لأنه يأمل السير على خط مستقيم من أجل الوصول إلى المحطة الاخيرة مع حسن الختام، فالرحلة قريبة، خاطفة، مهما طالت السنوات. كذلك فان الذين ينبسطون للدنيا، إذا انبسطت لهم، نراهم لا قبل لهم بتحمل النكبات والمصائب أو سماع الاعلام بشأن كورونا، لأنهم عشقوا الدنيا وتعلقوا بها[8].

اذا ما رماك الدهر بنكبة فهي له صبراً وأوسع له صدراً
فان تصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا[9]

والكل يبلى ويفنى، وتأكل الأرض من لحومنا كما أكلنا من ثمارها، وتشرب من دمائنا كما شربنا من نهارها[10].

ومن سره أن لا يرى ما يسؤوه فلا يتَّخذ شيئاً يخاف له فقدا [11]

والدنيا زائلة لا محالة، ومن غير كورونا وان كانت في أحسن حال فيقول الشافعي:

يا منْ تعزز بالدنيا وزينتها الدهر يأتي على المبنيّ والباني
ومن يكن عزه الدنيا وزينتها فعزهُ عن قليل زائل فاني
واعلم بأنَّ كنوز الأرض من ذهب فاجعل كنوزك من برٍ وايمانِ[12]

وعليه فالانتباه لإدخار العمل الصالح قبل المفاجأة بالرحيل:

فاعمل لمعادك يا رجلٌ فالقـــوم لدينا هم عملــوا
وادخر لنفسك من زادٍ فالقوم بلا زادٍ رحلوا[13]

وماذا ((نتوقع من هذه الدنيا الدَّنيَّة وقد سُمَّ رسول الله صلى الله عليه وسُمَّ أبو بكر ؟)) [14]. رضي الله عنه والأنبياء ليسوا بمنأى عن الابتلاء بالأمراض. عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو محموم، فوضعت يدي فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى، فقلت: ما أشد حُمّاك يا رسول الله ! قال: ((إنا كذلك معشر الانبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر. قلت: يا رسول الله ! فأي الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال: الأنبياء. قلت: ثم من ؟ قال: ثم الصالحون إن كان ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة فيجوبها ويلبسها، وإن كان أحدهم ليُبتلى بالقمل حتى يقتله القمل، وكان ذلك احب اليهم من العطاء))[15].

ولّما دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه، وكان موته بالطاعون. وكانوا يقولون: إذا مُسَّ الطاعون، وهو قرحه، فوجد ليناً طُمع لصاحبه في البرء منه، وإن كان خشناً يئس من صاحبه، فدخل عمر على إبنه فقال: دعني أمسَّ قرحتك، فكره ولدهُ عبدالملك المحتضر أن يمسها أبوه فيجزع، وكانت خشنةً، فقال أو تعفين يا أمير المؤمنين ؟ فعلم عمر لم يمنعه، فقال: ولم يا بُنيَّ ؟ فوالله لأن أقدمك فأجدك في ميزاني أحبُّ إليّ من أن تقدمني فتجدني في ميزانك. فقال: وأنا والله يا أمير المؤمنين لأن يكون ما تحبُّ أحبُّ إليَّ من أن يكون ما أحبُّ ملمسها فقال: يا عبدالملك (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) فقال: (ستجدني ان شاء الله من الصابرين)[16].

ومع ازمة كورونا فان من يترقب الموت يسارع في الخيرات، ولانتشار الأمراض الوبائية خلال السنوات الاخيرة، إهتم المختصون بالتعريف بمفردات وجزئيات الوباء:

المرض والعدوى:

عندما يدخل الفايروس في جسم الإنسان، ويتفاعل الجسم معه يحصل المرض. وعندما يكون الفايروس على اسطح الاشياء والفايروس يستطيع الاختراق فينتشر المرض من خلال العدوى.

قيل ان البعير يجرب في القطيع، فيجرب بجريه الابل كلها، ويسمى الجرب حبيبات الطرب. وقيل صاحب الجرب شاكر، لأنه أبداً يقول قد ذهب [17].

دعا عيسى بن علي ابن المقفع للغداء، فقال لست اليوم بمؤاكل للكرام، لأنني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار. ويقال ان الشيطان قال: ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين: الطشاوة والحقوة، أي الزكام والهيضة[18]. والهيضة انطلاقة البطن والمرضة بعد المرضة.

ولما قدم المهاجرون المدينة مرضوا، وكانت أشدَّ أرض الله حُمّى. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم عليك عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، كما اخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. اللهم حبب الينا المدينة كما حبَّبتَ إلينا مكة، وانقل وباءها إلى الجحفة [19].

وفي عام 258هـ يذكر ابن الجوزي انه ظهر الوباء في بغداد وانتشر، وكان كل يوم يموت ببغداد خمسمائة إلى ستمائة. كما إنتشر في البصرة ومات فيها اكثر من عشرين الف إنسان [20].

انعكاسات كورونا والتأملات:

نتابع ملء السمع وملء البصر، كيف بقي العالم مدة ضعيفاً عاجزاً أمام كورونا، هذا الأمر جعل الكثير ممن ينعكس على نفسه بالتأمل ولاسيما ممن فقد من أحبته بسببها، وهذه المشاعر الإنسانية هي واحدة ! فمنذ القدم نجد التأمل والأفكار هي نفسها في كل زمان ومكان. فأعرابية جاهلية قبل الإسلام، مات إبنها بالوباء، فعبّرت كما يدور في نفوس الأباء والأمهات جميعاً فقالت ترثي ولدها:

كنت أحتاط لاعتداء يد ـــــــــــــــــــــــــــــرِ ولم تخطر الدَّهـــــــــــــــــــ المنون ببالي

كل حي وإن تصنعت ـــــــــــــــــــــــــــــا له ميتٌ على كل الدنيـــــــــــــــــــــــــــــ حالِ[21]

إن لسان حال الكثيرين اليوم أمام هذا الفايروس يقول: ((لا تغرنَّك قوة الجسد، وسواد الشعر، واقتبال الأمل... تمسي وتصبح من دار الرحلة إلى دار المقام))[22].

وتأسياً على ذلك فإن الجيش الابيض والشرطة، وقوى الأمن والمصابين والمتعافين على حد سواء عليهم أن يشعروا بأنهم على سفر، ولا راحة لهم إلا بعد أن يحطوا رحالهم في المحطة الاخيرة في تلك الحفرة التي يقبرون فيها، تقبر أجسادهم في الحفرة سواء على عمق متر ونصف أو ثلاثة امتار، فهي بيت الضيق

والوحدة والظلمة والوحشة والتراب والدود، وما يُدفن إلا هذا الجسد مثله مثل الثوب البالي الذي يلقى على الأرض، أما أرواحهم ففي عالم لا يعلمه الا الله [23].

((فلا اخلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب، ومن الاضطراب والخوف.. إلا بمعرفة خالق واحد أحد... حتى تجد راحتها وتحظى بخلاصها من عناء تلك الزلازل النفسية المدمرة)) [24].

ومن الانعكاسات المعيبة إن الناس فضلاً عن عدم الالتزام بالتعليمات يعتدون على الاطباء بدلاً من الثناء عليهم.

روي ان موسى عليه السلام قال: يا رب أين الداء ؟ قال: من عندي. قال: الدواء ؟ قال: من عندي. قال: فالأطباء ما يصنعون ؟ قال: يطيبون قلوب عبادي حتى تحل عافيتي أو بلائي [25].

يقول ابن بناته:

نُعلَّلُ بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفى من الموت الدواءُ؟
ونختار الطبيب وهل طبيبٌ ... يؤخر مـــــــــــــــــــــــــــــــا يقدمه القضـــــــــــــــــــــاءُ؟
وما أنفسنا إلا حسابٌ ... ولا حركاتنا إلاَّ فناءُ؟[26]

زيادة على ان الاطباء فقدوا حياتهم ! فماذا بوسعهم ان يقدموا ؟ يقول الشاعر:

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيعُ دفاع مقدورٍ أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبرئ مثله فيما مضى؟
هلك المداوي والمداوي والذي ... جَلَبَ الدواءَ وباعه من اشترى[27]

واستسلم الكثير لواقع الجهل الذي نعيشه كما قال المتنبي:

يموت راعي الضمأن في جهله ... ميتة جالينوس في طبه[28]

الوقاية:

لماذا لم نحترز من الفايروس ؟ ولماذا لم يهيء أولي الأمر المستلزمات وأخذ التدابير والاحتياطات لهذه المصيبة ؟ ومصائب الدنيا عموماً ؟ فلا خير فيمن لا يوطّن نفسه على نائبات الدهر ! فالناس في هذا العالم في سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد.. حتى النملة يبلغ من تفقدها وحسن تدبيرها، والنظر في عواقب الامور، أنها تخاف على الحبوب التي إدخرتها للشتاء في الصيف ان تعفن وتسوس، ويقبلها بطن الأرض، فتخرجها إلى ظهرها لتيبّسها وتعيد إليها جفوفها، وليضربها النسيم، وينفي عنها اللخن والفساد. ثم ربما كان، بل يكون أكثر مكانها نديا ، وخافت أن تنبت نقرت موضع القطمير من وسط الحبة، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب، فهي تفلق الحب كله انصافاً، فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة فلقته أرباعاً لان أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب، فهي على هذا الوجه.. ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس[29].

وبلد مثل الصين على مستوى في التدبير، وعندما ظهر فيها الفايروس لاول مرة ودهشة العالم بالأسباب والوقاية، عاب الناس في كل مكان عليهم أكل الحيوانات واستقذروها. وقد يتقذر الرجل من أكل الضب والارنب، فما هو الا أن يأكله مرة لبعض التجربة أو لبعض الحاجة، حتى صار ذلك سبباً إلى اكلها، حتى يصير بهم الحال إلى ان يصيروا ارغب فيها من أهلها، والاعراب يستطيبون أكل الجراد السمين، ويأكلون الحيات على شبيه هذا الترتيب ولهذه العوارض. وزعم بعض الاطباء والفلاسفة ان الحيات والافاعي تؤكل نيَّة ومطبوخة ومشوية، فانها تغدو غذاء حسناً، وناس من الصقالبة يأكلون الذبان. وليس بين ريح الجراد ن إذا كانت مشوية، وبين ريح العقارب مشوية فرق، والطعم تتبع للرائحة، خبيثها لخبيثها، وطيبها لطيبها[30]. والجاحظ أسهب كثيراً في التنويع والتفصيل في أكل هذه الهوام والجرذان والفئران وغير ذلك. وكل ذلك تعافه النفس الان. لذلك كانت الهجمة على الصين واستقذار ما يأكلونه، ولعل الذين كانوا يأكلونها في الماضي البعيد كان اضطراراً زيادة على قناعة الناس بالوقاية خير من العلاج ومن النوادر في هذا المجال يذكر الراغب الاصفهاني: جاء رجل إلى طبيب فقال: أكلت الشعير والرطبة فأصابني مغص، فقال: هذا طعام الحمار، فاذهب إلى يحيى البيطار يعالجك[31]. وفي مجال الاغذية التي تنفع لعلاج الكورونا انتشرت التسجيلات الصوتية والمرئية من المختصين وغير المختصين انتشاراً واسعاً كما تنتشر الكهرباء في اسلاك البلاتين من حبة البركة إلى الباذنجان الذي ايد ذلك من الاطباء الاختصاص، زيادة على البدو الرحل في البادية.

وفي الخبر تقول العرب كلوا القرع، واجتنبوا الباذنجان، قيل الاعرابي: ما تقول في الباذنجان ؟ قال: لونه لون بطون العقارب، وأذنابه كأذناب المحاجم،، وطعمه طعم الزقوم ! فقيل: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيّباً. فقال لو حشى بالتقوى، وقلي بالمغفرة، وطبخته الحور العين، وحملته الملائكة ما كان الا بغيضي. وحكي ان الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً . فقيل له : إلى أين ؟ فقال: بلغني ان فلاناً يعيب الباذنجان، فأريد ان أمر عليه فأخاصمه[32]. وهكذا استمرت الآراء والمتناقضات حول الطعام الذي يشفي من كورونا إلى الآن.

(ان الاغذية وائتلافها أو تركها إنما هو بالعادة، فمن عوّد نفسه غذاءً ولاءمه تناوله كان له مألوفاً وصار الخروج عنه والتبدل به داء، مالم يخرج عن غرض الغذاء)[33]. ويذكر ابن قتيبة: (قال مدنيٌّ الاعرابي: ما تأكلون وما تدعون ؟ فقال: نأكل كل ما دبَّ ودَرَجَ إلا أمٌّ حبين قال المدنيُّ: لتهنئُ أم حبين العافية)[34].

كما إن الطهارة واجبة: ﴿إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الايمان (رواه الترمذي) والطهارة تكون بازالة النجاسات والاوساخ بالماء الطهور من اللباس والبدن والمكان[35].

وقد امر الإسلام بالحفاظ على الصحة العامة، وحرم كل ما يؤذي صحة الفرد العقلية والجسمية والنفسية، فحرم الخمر والمخدرات وكل الخبائث، ودعا إلى أكل الطيبات من الرزق والاهتمام بالنظافة الجسدية [36].

ان الإسلام رفع مرتبة حماية النفس والحفاظ على الصحة إلى درجة عالية عندما جعل ذلك من الضروريات الخمس المتمثلة بالدين والنفس والمال والنسل والعقل، ومن هنا جاء وجوب تجنب الضرر، والحرص على كل ما يقيم البدن ويحافظ عليه، وفي مقابل ذلك نهى الإسلام الحنيف عن كل ما يؤذي صحة الإنسان ويلحق به الضرر، وذلك من منطلق قاعدة ((كل ما ثبت ضرره ثبت تحريمه، وهذا منتهى الحرص من الإسلام في المحافظة على صحة الإنسان))[37].

نفع المرض:

اعتل الفضل بن سهل بخراسان ثم تعافى، فجلس الناس للتهنئة، فقال لهم: إن في العلل نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والأذكار بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة، والحث على الصدقة وكذلك للتسليم لقضاء الله وقدره. ودخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على

عليل فقال له: إن الله قد أقالك فاشكره، وذكرك فاذكره ولا نُسرف بالمبالغة فان الذي يؤمن بالله وبالقدر خيره وشره يقف أمام هذا الوباء حامداً لله، وإذا سخط فماذا عساه أن يفعل ! لذلك فقد قيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما: الشباب والعافية. وقيل: لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة، ولا طعم الرخاء إلاّ من مسته يد البلاء. وقيل: الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية. لا تزال غنياً ما دمت سوياً[38]. ولعل من المستساغ إذا أردنا ان ننعم بنور الشمس أن نتحمل الظلمة واذا أردنا التلذذ باللقمة ان نتحمل الجوع، وإذا أردنا أن نتمتع بالصحة أن نتحمل المرض، ولا أحد يظل صحيحاً سليماً على الدوام. وجّه المتوكل إلى الجاحظ يدعوه فقال: ما يصنع أمير المؤمنين بشخص ليس بطائل، ذي شق مائل، ولعاب سائل، وفرج مائل، وعقد حائل ؟ وما أسعد الإنسان الذي يستسيغ هذه الحقائق مجردة ! يقول المتنبي:

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريضٍ يجد مرّاً بهِ الماءُ الزُّلالا [39]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت احداً أشدَّ عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخاري برقم 5646 ص 1027) وكما اشتدت الالام على الناس بسبب كورونا حصل في بداية الازمة من التعاطف بين العراقيين وامتدت يد العون لذوي الدخل المحدود الذين لا يجدون إلا أجرهم اليومي :

ولكني أسعى لأنفع صاحبي وعار علي الشبعان إن جاع صاحبه[40]

ولعلهم يتصورون ان الشق الواضح على حبة الحنطة، هو من أجل قسمتها إلى نصفين فيعطي أحدهم النصف للضعيف ويبقى الآخر له:

إن شقاً يلوح في باطن البر ة قسم بيني وبين الضعيف [41]

العلاج:

في بداية الازمة تضاعف سعر الليمون والبصل، لما ذكر أهميتها في المناعة من الفايروس، وانخفض فيما بعد لتعدد الآراء حول الأغذية المناعية.

وقيل في الأدب العربي: لا تستعمل الأدوية فيما تنفع فيه الأغذية. وقيل أيضاً إن النفس إذا ألفت الدواء، فسدت. لأن الدواء يجب ان يطرأ عليها غريباً فتحتشم وقيل إن الدواء في البطن كالصابون في الثوب ينقيه لكن يخلقه[42].

وكان العرب يحثون على التداوي، لأنهم كانوا يعتقدون إن الله ما وضع داء الا وضع له دواء إلا الهرم. وقال طبيب لرجل: بم تداوي من حمّاك ؟ قال: بالنشرة. فقال: إن رأيت إن تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل. وقال رجل لآخر وكان معه إبل جرب: هلا داويتها ؟ فقال إنَّ لنا عجوزاً صالحة نتّكل على دعائها ونستغني به عن الدواء ! فقال: إجعل مع وعائها شيئاً من القطران [43].

وكان عند العرب التأني في المداواة فقالوا: حق الطبيب أن يتأنى في المداواة فعثرته لا تقال. وقيل: المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في اطفاء النار، وقد أخذت بحواشي ثوبه [44].

العزل الصحي:

كان الاتفاق المحمود منذ البدء على وجوب العزل للمصاب بكورونا، للعدوى المؤكدة، وكانت الدهشة تُلاحظ عند البعض من الفرار من هذه العزلة ويرفضونها بشدة، وهذا لا يعود إلى قلة الوعي والثقافة الصحية وإنما ايضاً بسبب الاعلام والاستماع إلى اصحاب الاختصاص من الاطباء بأن هذه العملية لعبة سياسية بامتياز واقتصادية بامتياز. زيادة على ان العرب تقول: العزل طلاق الرجال , وسئل بعض الحكماء , ما اشد ما يمر على الإنسان ؟ فقال بعضهم: فقر في سفر , وقال بعضهم: مرض في غربة , فقال: أشد من ذلك عزل مع نكبة[45] قال احمد بن طاهر:

ما وضع العزل منك قدراً ولا تعالى عليك وفرا [46]

لذلك كان من التقديرات الصائبة أن يحجر الإنسان نفسه في بيته، وفي الأثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها , واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها) رواه البخاري (رقم5727, ص1040) وهذه تربية إسلامية للحجر الصحي وحصر انتقال العدوى وعدم انتشاراها ولرعاية المصابين وعدم تركهم دون رعاية [47].

المصافحة والاختلاط:

قالوا في الأدب العربي: المصافحة تزيد المودة , فاعتاد العرب عليها , إذ باركها الإسلام فيقول الشاعر:

تصافحت الأكفُّ وكان أشهى الينـــــــــــــا ان تصافحت
نعيش إذا التقى كفٌّ وكفٌّ الخدُودُ

فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدُ[48]

وعندما يتعذر عليهم الاختلاط يتذمرون. قيل لرجل من قريش: كيف حالُك ؟ فقال: من يهلك ببقائه، ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه[49].لذلك كانت جميع وسائل الاتصال والتوعية على اتساعها غير فاعلة في إيصال الرسالة، مع وضوح الرسالة إلا أن المتلقي لم يتجهّز لاستقبالها ولعل أبلغ رسالة أن الله أعطى رخصة لترك المساجد وأداء الصلاة في البيوت أو الرحال. ومع علمي بخطوات البحث العلمي وعلى وعي تام بمتطلباته أقف عند حالة عشتها منذ بداية الازمة لحد الان، ان مجموعة –يبارك الله فيها–, تأتي فجر كل يوم إلى المسجد الذي أرفع فيه اذان الفجر كل يوم ليصلّون الجماعة ولقد طلبت منهم على أقل تقدير ان نلتزم بلبس الكمامة والكفوف و لم يتحقق ذلك , أو نقف متباعدين بين واحد وآخر , وكان لا يزيد العدد عن اثنا عشر شخصاً , و لم تحصل الاستجابة أيضاً وكان الامام يقول بعد الاقامة: استوا , تراصوا ولعل في مقدمته ذلك تكون العاطفة الإسلامية والتوكل على الله.. الا انه لمستلزمات البحث العلمي يعجز الباحث عن تعليل ذلك.

عيادة المريض:

استهجن الناس موقف 65 رجلاً، حاولوا أن يلقوا بأنفسهم على جثة المتوفي بالكورونا كما طالعنا الاعلام العراقي، وليس من المفيد لنا أن ننكر هذا الواقع الذي يتعذر على البحث العلمي ان يقف على تحليلاته من غير استبيانات ودراسة الظروف لهذه المجموعة في الوقت الذي يستغيث أحدهم من أجل دفن جثة أبيه و لم يجد أحداً، وكانت الاعتراضات غير المتهاودة لرفض دفنه أو قبول دفنه في أي مقبرة، ثم يعيدونه للثلاجة ولعل من المفيد القول: إن العلاقات الاجتماعية ليس على مرتبة واحدة في صلات الرحم.

واذا كان الأمر مع المتوفى كذلك فكيف مع الذي على قيد الحياة ويخشون وفاته ؟ فليس من الغريب أن تتعلق الأم بوليدها المصاب مثلاً. وفي الخبر: عودوا مرضاها، وشيّعوا هلكاها، وعزوا ثكلاها. على انه لعيادة المريض أداباً. قيل سوء العيادة تلقيح العلة. وقال الفضل بن الربيع: لا تقولوا: كيف أمير المؤمنين، ولا

تسألوه عن حاله، فتكلفوه الجواب، ولعله يثقل عليه الكلام، ولكن اجعلوا مسألتكم الدعاء له، وقولوا بدل كيف يجد امير المؤمنين نفسه: انزل الله عليه الشفاء والرحمة:

حقُّ العيادة يومٌ بعد يومين وجلسةٌ لك مثل اللحظ بالعين
لا تُبرمن مريضاً في مسألةٍ يكفيك من ذاك تسأل بحرفين[50]

لذلك فإنه لا مبرر لزيارة المرضى بكورونا، وبالامكان الاتصال بوسائل أخرى من أجل تنشيط حالة المريض ويبشروه بالشفاء، ولا تصَّعب عليه العلة فتخاف نفسه ويموت حسه. وقيل: خوّفوا المريض ليجتنب المضار، فمن خوفك لتلقى الأمن خير لك من أمنكَّ لتلقى الخوف وقيل: من أوجرك المر لتبرأ خير ممن أوجرك الحلو لتسقم.

ودخل طبيب على مريض قد أصاب إصبعه ريح فشمها فقال: إن أكلت اليوم شيئاً مت. فلما كان من الغد شفي، فقيل له في ذلك فقال: لو لم أخوَّفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه[51]. فالخوف والحذر لابد منه في هذا الوباء، ولا عذر لعدم الالتزام[52].

الوعد الحق:

ان الذين ماتوا بكورونا، ماتوا في موعدهم المحدد الموعود المقرر، الذي لا يقبل تعطيلاً ولا تأجيلاً ولا تعجيلاً في هذه الحياة المؤقتة، والموت محقق لا محالة، ومتعة الدنيا بأسرها مؤقتة أيضاً، وانها مصيبة فعلاً ان ينغمس المرء بلذة المتعة المؤقتة.

والموت هو الزائر القريب، الحبيب المنتظر على شوق صادق للقاء الله جل جلاله عند صاحب النظر الثاقب الذي يفكر بالدنيا وما يترتب عليها من حساب، فيكون له شأن آخر في التفكير بما اعده الله لأهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الابدية، فمرحباً بكورونا أو غيرها من الاسباب إذا كانت تحقق لنا مثل هذه السعادة قياساً لما أعده لأهل الدنيا من الخزي والعذاب. فالمصاب بكورونا الذي يتمسك بالله رجاء ثوابه فهو على خير، وقد اختار لنفسه خير الحظوظ وابتعد عن شرها ويواجه كورونا برضا نفسه وحبه للقاء الله. ويرى الموت راحة واستقراراً والخلاص من عناء الدنيا. وأيّ سعادة عندما يشعر الإنسان المؤمن انه يسير إلى رب ليلاقيه، ويلقى من ربه نظرة وسروراً.

والأسباب والعبرة أن يتهيأ المرء لاستقبال الموت من غير تشاؤم، فان آدم عاش الف سنة ثم مات، ولما احتضر اشتهى قطفاً من قطف الجنة وانطلق بنوه ليجلبوه له فلقيتهم الملائكة، وقالت لهم ارجعوا فقد كفيتموه.. فانتهوا إليه فقبضوا روحه، وغسّلوه وقاموا بتحنيطه وكفّنوه، وصلى عليه جبريل والملائكة، وخلفهم ابناء آدم، ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم.

وإلا فان الوباء حين يبلغ عمره يتلاشى، ويضمحل ويتراجع في تاثيره على الناس، ويكون هؤلاء قد اكتسبوا منه المناعة فلا يؤثر عليهم ولا يزال الملايين من الناس يموتون كل عام بسبب الأمراض، وربما انتشر وباء ويموت بسببه الكثير من الناس و لم تتوقف الفايروسات عند كورونا، وتستوطن بعض الأمراض في بلدان كثيرة، يعيش الملايين مع فايروس نقص المناعة البشرية مثل السل والآيدز. إن الملايين من الناس يموتون بسبب الأمراض المعدية التي يمكن علاجها فكيف في حالة صعوبة العلاج مثل كورونا وهي كلمة لاتينية تعني التاج لان فايروس هذا المرض يشبه التاج وكلمة جائحة وجمعها جوائح فالأصل أنها مصيبة تحل بالرجل، في أمواله أو الكارثة. وهذا حال الدنيا ولننتظر القادم بعد كورونا.

والله يأذن بسلامتنا ويمسح علينا بيد عافيته للمشاركين في هذا المؤتمر ولكل من قرأ هذا البحث أو ساهم في تقييمه وجميع المسلمين والحمد لله وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

المصادر

1. القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف.
2. ابن الجوزي – أبو الفرج بن عبد الرحمن –المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ، الدار الوطنية – بغداد – 1990–2004م.
3. الاصفهاني ، الراغب الحسين بن محمد بن الفضل ، محاضرات الأدباء ومحاورة الشعراء والبلغاء ، اعتناء سجيع الجبيلي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان .
4. الاندلسي ، أبو داود سليمان بن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سعيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1950م.
5. التلمساني ،أحمد بن المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب و كر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق وضبط محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ط1 ، 1367ه–1949م.

6. الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر ، كتاب الحيوان ، تحقيق فوزي عطوي ، مطابع دار الغد مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت .
7. الجزائري ، أبو بكر جابر ، منهاج المسلم ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة 1430 ه-2009م.
8. الحافظ ابن أبي الدنيا ، كتاب المرض والكفارات ، تحقيق عبد الوكيل الندوي الدار السلفية ، ط1 ، 1400ه-1991م.
9. الدينوري ، ابن قتيبة ، أدب الكاتب تحقيق علي محمد وزينو مؤسسة الرسالة ، ناشرون – بيروت – لبنان ط1 ، 1429ه-2008م.
10. الدينوري ، ابن قتيبة ، المعارف ، در الكتب العلمية بيروت – لبنان .
11. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1429ه-2008م.
12. الشافعي ، محمد بن إدريس ، ديوان الشافعي ، تقديم ومراجعة ، د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، د.ت.
13. الصافوري ، عبد الرحمن الشافعي ، نزهة المجالس ، تحقيق صبري مرسي فتح الله ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط2 ، 1420ه-2010م.
14. الكبيسي ، د. عبد المجيد حميد ثامر، التربية البيئية ، رؤية منهجية ومنظور شامل ، ط 1، 2019م-1440ه
15. الكبيسي ، د. عبد الرحمن حميد ثامر ، جمالية الموت ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 1438ه-2017م.
16. المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ديوان المتنبي ، دار صاد ر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2008م.
17. المبرد ، أبو عبيد العباس ، كتاب التعازي والمراثي ، تحقيق : الديباجي ، دار صدر ، بيروت، ط2 ، 1992م.
18. المعري ، أبو العلاء ، الفصول والغايات ، ضبط ونشر محمود حسن زناتي ، ج1 ، مطبعة حجازي، القاهرة ، ط1 ، 1356ه-1938م.
19. المعري ، أبو العلاء ، اللزوميات، لزوم ما يلزم ، تحقيق وشرح إبراهيم الأعرابي ، دار صادر ، بيروت، 1381ه-1960م.
20. النوري ، سعيد ، النوافذ ، ترجمة حسان قاسم الصالحي وشركة سوزر للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2004م.
21. يحيى مخيمر صالح موسى ، رثاء الأبناء في الشعر العربي ، مكتبة المنار الزرقاء ، الأردن ، ط1 ، د.ت.

الهوامش

(1) طبقات الاطباء والحكماء:3.

(2) نزهة المجالس: 18.

(3) ينظر: كتاب المرض والكفارات:6.

(4) (رواه البخاري برقم 5978 ص1034).

(5) ينظر: م. ن: 7.

(6) الفصول والغايات: 218.

(7) من قصيدة التهامي المشهورة.

(8) ينظر: جمالية الموت: 74-75.

(9) نزهة المجالس: 117.

(10) التعازي والمراثي:25.

(11) للشاعر ابن الرومي ديوانه: 303/2.

(12) ديوانه: 69.

(13) البيتين لابي بكر الطرطوشي، ينظر نفخ الطيب " 90/2.

(14) تاريخ الخلفاء: 102.

(15) كتاب المرض والكفارات: 15 والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك أيضاً 40/1.

(16) ينظر: كتاب التعازي والمراثي: 47-48.

(17) محاضرات الادباء: 75/2.

(18) ينظر: م. ن. والجزء والصفحة.

(19) التعازي والمراثي: 267 والجحفة، بالضم ثم السكون إلفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة، وكان اسمها (مُهْيَعة) ولما قدم النبي المدينة إستوبأ بها وحمّم اصحابه. (معجم البلدان 62/3).

(20) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والامم: 8/5.

(21) رثاء الابناء في الشعر العربي: 101.

(22) الفصول والغايات:16.

(23) ينظر: جمالية الموت:35.

(24) النوافذ: 25.

(25) محاضرات الادباء:72/2.

(26) ينظر : محاضرات الأدباء : 72/2.

(27) م. ن: الجزء والصفحة.

(28) ديوانه: 360.

(29) ينظر: الحيوان: 7/4.

(30) ينظر: الحيوان: 21/4-22.

(31) ينظر: محاضرات الادباء: 77/2.

(32) ينظر: م. ن. 297/2.

(33) مقدمة ابن خلدون: 402/1.

(34) ادب الكاتب: 194. وام حبين ضرب من العظاء منتنة الريح.

(35) ينظر: منهج المسلم: 131.

(36) التربية البيئية: 542.

(37) م. ن: 543.

(38) ينظر: محاضرات الادباء: 39/2.

(39) ديوانه:95.

(40) للشافعي رحمه الله ينظر ديوانه: 15.

(41) لأبي العلاء المعري، ينظر: اللزوميات: 170/2.

(42) ينظر: محاضرات الادباء: 76/2.

(43) ينظر: م. ن: 77/2.

(44) ينظر: م. ن: الجزء والصفحة.

(45) ينظر: محاضرات الادباء: 206/1.

(46) م. ن: الجزء الصفحة.

(47) التربية البيئية , 540.

(48) ينظر: محاضرات الادباء:41/2.

(49) ينظر: م. ن , الجزء والصفحة.

(50) ينظر: محاضرات الادباء: 80/2.

(51) ينظر محاضرات الادباء: 82/2.

(52) جاء الوباء إلى احدى المدن.. فشاهده رجلاً وسأله: إلى أين أنت ذاهب أيها الوباء ؟ رد الوباء: أُمرت أن اذهب إلى هذه المدينة لأقتل ألفاً من أهلها.. وعندما خرج الوباء من المدينة شاهده الرجل فقال له: ويحك أيها الوباء ما أقساك..؟؟ لقد قتلت عشرين الفاً من أهل المدينة !! فرد الوباء: أنا قتلت الفاً فقط.. اما الباقي فقد قتلهم الوهم.. ان الوهم نصف الداء.. والاطمئنان نصف الدواء.. والصبر اول خطوات الشفاء. الطبيب العالم ابن سينا. هذه الرسالة انتشرت بوسائل التواصل. وتعذر على الباحث توثيقها من كتب ابن سينا فذكرناها بالهامش.